الطبقة العاملة والحركة السياسية في فلسطين

عبد القادر ياسين

كشفت القيود المفروضة على الحركة النقابية ، وغياب الحقوق السياسية ، للعمال العرب الفلسطينيين الصلة الحميمة بين السياسة وبين ما يعانون من ظروف قاسية في الحياة وفي العمل على السواء .

فظروف هؤلاء العمال كانت لهم المعلم والمدرسة ، اذ طالما اصطدموا ، يوميا ، بوقائع الاستغلال البريطاني والصهيوني . وادى غياب الشركات العربية الفلسطينية الكبيرة - وتلك نتيجة طبيعية للقهر الاستعماري الصهيوني المزدوج - الى تعزيز اتجاه العمال المعادي للامبريالية البريطانية وللصهيونية . فالاحتكارات البريطانية هي التي تدفع لهم اجور الفاقة ، وهي التي تقف عقبة في سبيل مطالبهم بحياة افضل . والحكام البريطانيون هم الذين يمارسون ضدهم شتى اساليب القهر والتنكيل . وحكومة الانتداب البريطاني هي التي تشوه قضيتهم ، وهي التي تقمع - بكل شراسة - الاضرابات والمضربين من العمال العرب الفلسطينيين . واذا ما حظي بعض العمال بمحاكمة ، كان قضاتهم - في الاغلب - من البريطانيين . وفي سوق العمل ينافسهم عمال يهود ، جلبتهم الحركة الصهيونية من خارج البلاد ، وهي الحركة التي تمارس ابشع انواع التمييز ضد العامل العربي ، كما يعمق توالي الهجرة اليهودية الوافدة الى فلسطين ، وتدفقها ، ازمة البطالة العمالية في البلاد .وعن هذا الطريق عرفت شعارات الاستقلال الوطني طريقها الى عقول العمال العرب الفلسطينيين ، من خلال ممارساتهم اليومية . وادركوا انه لا يمكن احداث اي تغيير جذري في حياتهم ، دون حدوث تغيير **سياسي** ، **وان جوهر هذا** التغيير السياسي لا يمكن ان يكون الا الاستقلال والتحرر الوطني . وهكذا ، من السخط الاقتصادي الى الوعي السياسي ، مما افضى الى تضامن طبقي ارتبط بمشاعر وطنية قوية .

لذا ، كان طبيعيا ان تلعب الطبقة العاملة العربية الفلسطينية ذلك الدور المؤثر - باضطراد - في الحركة الوطنية الفلسطينية . على الرغم من وقوعها - اغلب الوقت - تحت قيادة دخيلة ، لم تصدر عنها . فخبرة هذه الطبقة، ونمو وعيها ، واشتداد عود تنظيماتها وتعاظم كفاحها ، كانت كلها مقدمات تأجج الحركة الوطنية للشعب الفلسطيني . فالعمال هم الذين كشفوا - بكفاحهم الجماعي الاقتصادي - للشعب الفلسطيني نظام الاستغلال الاستعماري ، الجاثم على انفاس الشعب الفلسطيني . والهمت الطبقة العاملة الشعب بأسره ، وحفزته على الكفاح ، كما هتكت الطابع الحقيقي للنظام الاستعماري ، واطماعه . وقبل هذا كله ، اوضحت خبرات معارك الطبقة العاملة طريق التخلص من الاستعمار والصهيونية .

« تفبرك » البرجوازية نظريات عديدة عن